الاصلاح الديني (*

المقترح على مقام الخلافة الاسلامية

لا تقوم مصلحة عامة الا برياسة ولا تسير رياسة في منهاج الصواب مالم تكن مقيدة بقانون عادل . والدين مصلحة عامة ورئيسه في الاسلام بعد زمن النبوة الخليفة الذي يتولى أمور المسلمين فهو المطالب بحراسته الصورية والمعنوية، المسؤول بتعميم نشره في البرية، وقد بينا في مقالات (الخلافة والخلفاء) أن خلفاء المسلمين بعد الراشدين قصروا في حفظه فضلا عن نشره ، ولم ينتشر انتشاره السريع في أقطار الارض الا بسهولة تعقل عقائده ويسر أحكامه، وتأثير فضائله وآدابه، لا بعناية الخلفاء، ولا سعي الملوك والامراء . أي خليفة أقام للدين دعاة تحت حمايته في بلاده أو في البلاد الاخرى الا ما كان من دعاة الفتنة ورواد الاضلال على عهد العبيديين في مصر ؟ أي خليفة سعى في جمع كلمة المسلمين التي فرقتها المذاهب ، ومزقها اختلاف المشارب ؟ ؟ كل ذلك لم يكن كما علمت من المقالات السابقة ولو كان لما وقف سير الاسلام ، أو تقلص ظل سلطته عن أحد من الانام ، ولما أصيب فيضانه بالجزر أو ببلغ مده غاية حده . مارعوا الخلافة حق رعايتها بل صيروها ملكا عضوضا كما ورد في أعلام النبوة فساءت الحال ، وانتهت الى هذا المآل . وهذا لا يمنع من تدارك مامضى وتلافي ما فرط فيه .

---

*) فاتحة العدد التاسع والثلاثين الصادر في يوم السبت ٣ شعبان سنة ١٣١٦

ولما كانت لمولانا المتبوئ مقام الخلافة لهذا العهد أمير المؤمنين عبد الحميد الثاني (أعزه الله تعالى وأيده) عناية عظيمة في إحياء منصب الخلافة الاسمى والقيام بشؤونها بقدر الاستطاعة رأينا من واجب النصيحة للامام التي ورد بها الحديث الصحيح الذي أوردناه في مقالة « الاصلاح » السابقة أن نبين ما نعلم أنه من مقومات الاصلاح الديني ، كما بينا رأينا في مقومات الاصلاح السياسي المدني ، على أن الاصلاحين متلازمان في الامة الاسلامية لا يقوم أحدهما حق القيام الا بالآخر والشريعة الاسلامية هادية الاصلاحين اذ كل خير وصلاح للعباد، يتعلق بالمعاش والمعاد، قد قرره الاسلام واعتده من مقاصده. وقد عرف علماء المسلمين الدين بأنه وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم الى الصلاح في الحال والفلاح في المآل. ولهذا قلنا في العدد الماضي ان مرادنا بالاصلاح الديني « ما يؤدي الى المحافظة على الدين والعمل به وجمع كلمة المسلمين » ولا يحصل هذا بعمارة المساجد والتكايا ولا بالانعام على بعض الشيوخ أو أهل الحجاز بالرتب والرواتب والوسامات بل لا بد في ذلك من أعمال تناط بالحكام وأعمال تطلب من العلماء وأصحاب الوظائف الدينية كالائمة والخطباء والمدرسين وأعمال تتعلق بمجموع الامة وأعمال تختص بالبلاد الحجازية وانا نتكلم على ما يسنح لنا في ذلك بوجيز من القول مستمدين التوفيق للتي هي أقوم ممن علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

أهم ماجاء به الاسلام هو التوحيد في العقائد الدينية والتعاليم الادبية والاحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الاصلاح الاسلامي جمع المسلمين

على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعي واحد لا يحكم عليهم غيره في أي نوع من أنواع الاحكام ولغة واحدة . ويتوقف هذا الاصلاح على تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب في كل قطر اسلامي وتكون عظمى شعبها في مكة المكرمة التي يؤمها المسلمون من جميع أقطار الارض ويتآخون في مواقفها ومعاهدها المقدسة ويكون أهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف حيث لا بد ان يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الاقطار يأتون الحج فيحملون الى شعبهم من المجتمع العام ما يستقر عليه الرأي من التعاليم السرية والجهرية . وهذا أحد مرجحات وجود الجمعية الكبرى في مكة المكرمة على وجودها في دار الخلافة وثم مرجحات أخرى من أهمها البعد عن دسائس الاجانب ووساوسهم والأمن من وقوفهم على ما لا ينبغي وقوفهم عليه في جملته أو تفصيله (ومنها) أن لشرف المكان ولحالة قاصديه الدينية أثرا عظيما في الاخلاص والتنزه عن الهوى والغرض فضلا عن الغش والخيانة وينبغي أن يكون للجمعية الكبرى جريدة علمية دينية تطبع في مكة أيضا ، وأية شعبة استطاعت انشاء جريدة تنشئها

ولنذكر كل توحيد من التوحيد التي يجب في الاصلاح جمع الامة كلها عليها وما يكون من عمل الجمعية فيها ثم نذكر أهم ما يناط بالجمعية وشعبها من الاعمال وهو تلافي البدع والتعاليم الفاسدة التي حدثت قبل انتشارها واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين وأهم مآخذها وهو ارتباط الحكومات الاسلامية واتحادها فنقول

(الاول والثاني توحيد العقائد وتوحيد الآداب) تؤلف الجمعية كتابا

فيما أجمع عليه المسلمون بجميع فرقهم التي يعتد باسلامها من أصول الدين الثلاثة : صحة الاعتقاد وتهذيب الاخلاق واحسان الاعمال — لا يذكر فيه شيء من مسائل الخلاف لاسيما بين الطوائف الاسلامية التي لها امارة وفيها كثرة كالشيعة بل ينحى فيه منحى « رسالة التوحيد » التي ألفها حديثا أحد علماء الازهر الشريف، ولا يتعرض فيه أيضا لمباحث الفلسفة التي منهج الاولون بها علم الكلام، ويكون الكتاب بعبارة في غاية السهولة ويترجم لجميع اللغات المتداولة ويعلن من مقام الخلافة بأن هذا هو الاسلام وجميع الآخذين به اخوة في الدين يجب على كل منهم ان يعتد مجموع الامة جسما واحداً هو عضو فيه كسائر الاعضاء وانه لا قوام له ولا حياة ولا شرف الا بسلامة المجموع من كل ما يعرض على الحياة من العلل او يمس الشرف ولا يمنع من هذا الاختلافُ في المسائل الفرعية والتي ليست من أسس الدين وأركانه كالمفاضلة بين الصحابة «عليهم الرضوان» في الخلافة وغيرها كما لا يمنع الانسان من تكريم أعضائه تلونها بلون غريب عن لون الفطرة أو كما لا يمنعه من محبة اخوته وأبنائه دمامة أو مرض يعرض لبعضهم، بل ينبغي أن تكون العناية بأمر المنحرف أشد، والانعطاف عليه أقوى

(الثالث توحيد الاحكام) لا يمكن أن تنال الامة حظها من السعادة المدنية الا بخضوعها ظاهرا وباطنا للقوانين القضائية والمدنية التي تسير عليها حكامها ولا يمكن ان يخضع مسلم لقانون وضعه البشر الا كرها واجبارا ومن يراعي منهم القانون ويخضع له في الظاهر كرها يعصيه في السر اذا أمن العقوبة كأن علم انه لا يمكن اثبات عصيانه ومخالفته أو انه يتسنى له

ارضاء الحاكم بالشفاعة أو الرشوة وما اضطر الحكومة العثمانية والمصرية الى العمل بالقوانين الاوربية الا عدم وجود كتب شرعية اسلامية تنطبق على حالة العصر وعجز الحكام عن أخذ ذلك من الشريعة لجهلهم بها وغفلة العلماء عن حالة العصر وما تقتضيه والتقيد بمذهب واحد. فاذا أمر الخليفة الجمعية بتأليف كتب تؤخذ من جميع المذاهب الاسلامية تنطبق على حالة العصر لاجل الحكم بها فعلت وهو أيسر شيء عليها. ولا يتوقف هذا على التلفيق الذي يمنعه الجمهور لانه مفروض في مسألة واحدة، واذا صادقت على هذه الكتب شعب الجمعية كلها صار متعينا للاتفاق عليه من علماء الملة على اختلاف مذاهبهم ثم اذا امر الخليفة بالعمل به تذعن له النفوس وتخضع سرا وجهراً. ولا يختلج في ذهن عاقل ان ذلك يسوء أصحاب الملل الاخرى في الدولة ويتولد منه نفورهم منها لان العنصر الكثير في الدولة منهم هو عنصر النصارى ولا يمكن نفور هؤلاء من قوانين الشريعة الاسلامية بحجة الدين لان دينهم يأمرهم بالخضوع لاي سلطان يحكمهم وأية شريعة يحكمون بها ولا بحجة المصلحة والمنفعة لان مصالحهم ومنافعهم تحفظ بشريعة يذعن لها مشاركوهم في تلك المصالح وأعمالها ومجاوروهم في وطنهم سواء فيها حاكمهم ومحكومهم مالا تحفظ بشريعة يعتقد الحاكم والمحكوم أن العمل بها غير واجب بل تعدي حدودها لازم لا يمنع منه الا الأمن من العقوبة لا سيما وهم يعلمون ان الشريعة الاسلامية تأمر بالعدل والمساواة بين المسلم وغير المسلم في الحقوق وتفرض على المسلم من الواجبات مالا تفرض على غيره. وكاتب هذه السطور يعلم من مذاكرة نبهاء النصارى وعقلائهم انهم يتمنون لو تكون الاحكام شرعية اسلامية ولا ينتقدون مما يعلمونه من

أحكام الفقه الاسلامي الا مسائل قليلة ليست من مسائل الاجماع ومهمات الدين في الغالب

وفي توحيد الاحكام الشرعية على ما ذكرنا ارضاء لجميع مذاهب المسلمين في الفروع وقطع لعرق التعصب الذي أضر بهم في الايام الخالية وغير ذلك من الفوائد التي لا محل في هذه المقالة لشرحها . ويوشك ان تحكم الدول الاجنبية مستعمراتها الاسلامية بهذا القانون ارضاء لاهلها واستمالة لهم واطمئنانا بخضوعهم للاحكام سراً وجهراً . ولا حاجة هنا لبيان كيفية التأليف من الضبط والسهولة والترتيب وإن لنا في مجلة الاحكام العدلية لخير مثال . ولا دليل على أن جميع الحكومات الاسلامية تأخذ بهذا القانون حالا ولكن لا مندوحة لهم عن الاخذ به مآلا

(الرابع توحيد اللغة) كل من كان قصير النظر لا يتجاوز شعاع بصره ما بين يديه — وكل من كان جاهلا بأحوال الامم الحية وسعيها في نشر لغاتها في جميع الاقطار — وكل من ضعف عقله ودينه فوقع في هوة اليأس من حياة الامة ونجاح عمل كبير على يدها — وكل من تمكن منه الطيش والعجلة وقلة الاحتمال فصار يطلب الغاية في البداية — كل هؤلاء الاصناف يعتقدون ان محاولة جمع الامة الاسلامية أو شعوب الدولة العثمانية على لغة واحدة غرور وجهل لانها محاولة محال ، وطلب مالا ينال ، ولكن لا يوجد ذو مسكة من العقل يرتاب في ان نجاح الامة التام وارتقاءها الكامل يتوقف على وحدة لغتها فاللغة هي مناط الجنسية ومعقد الارتباط عند الامم المرتقية وما دامت الدولة مختلفة الاجناس فهي على خطر من

حياتها السعيدة وبين يدينا من الشواهد ما يقطع لسان كل معاند،

هذه دولة أوستريا — النمسا والمجر — تعد من الدول القوية المتمدنة في أوربا ومع ذلك قد رماها اختلاف الاجناس بالفتن التي يخشى ان تؤدي الى تمزيقها بتفريقها وتودي بعظمتها التي يمسكها الامبراطور الحالي أن تزول لماله من المكانة والمحبة في نفوس الجميع

العمل الاول في توحيد اللغة انما يكون من الخليفة صاحب السلطان وعمل الجمعية فيه كعملها في نشر الدين والدعوة اليه كما يأتي. والحكومة العثمانية تجتهد في تعميم لغتها التركية العذبة في بلادها ولا يتسنى لها ذلك أبدا. وتترجح اللغة العربية على التركية في وجوب تعميمها بأمور (منها) كونها لغة الدين فإحياؤها احياء له وتعميمها وسيلة لتعميمه وفهمه (ومنها) امكان نشرها بسهولة لان التركي يدعوه الى تعلمها كونها لغة دينه أما العربي الذي لا طمع له في مناصب الدولة فلا تتوجه نفسه الى تعلم التركية وهذه الدولة العلية لم تقدر في بضعة قرون أن تستبدل لغتها بالعربية في قطر من الاقطار ولو سارت على ما كان يرغب السلطان سليم ياوز « رحمه الله تعالى » من جعل العربية لسان الدولة الرسمي وتعميمه لكان معظم الاتراك اليوم ينطقون بالضاد (ومنها) محو الامتياز الجنسي بين الترك والعرب فقد أضر هذا الامتياز بالدولة ضررا مبينا ولا تزال اخطاره تهددها. نعم ان الرابطة الاسلامية بين العنصرين كافية للاتحاد والاعتصام ولكن أين التربية الاسلامية التي تنفخ هذا الروح في العنصرين كما نحب ونرضى ؟. ولا يجهل من وقف على دسائس المفسدين أن أنفذ عواملهم في التفريق بين هذين العنصرين هو اختلاف اللغة . فان كان كمال بك الكاتب العثماني الشهير

(عليه الرحمة) قال ان الجامعة بين الترك والعرب مؤيدة بأخوة الاسلام ورابطة الخلافة فان كان أحد يقدر على تفريقها فهو الله وان كان أحد يفكر في ذلك فهو ابليس » فلقد قال ما قال ولم يكن السعي في التفريق قد وقع فعلا . أما الآن فقد ظهر من أعداء الدولة أبالسة تسعى لهذا الفعل القبيح بما تستطيع وفتنة اليمن لا تخلو من آثار هؤلاء الابالسة الاشرار (ومنها) أي (المرجحات) كون الناطقين بالعربية في الدولة أكثر عدداً فما بالك بهم في الامة كلها (ومنها) كون علماء المسلمين في جميع أقطار الارض يعرفونها (ومنها) أن سعي أمير المؤمنين في نشر لغة الدين وتعميمها يجمع قلوب المسلمين في جميع المسكونة على محبته والتمسك بولاء دولته

{ لما بقيه }

(ليلة المعراج)

احتفل المسلمون في ليلة الاحد الماضية بتلاوة قصة المعراج الشريف وهذا الاحتفال من المواسم الحادثة في الملة لم يكن على عهد السلف الصالح. وقد ألف في هذا الموضوع قصص كثيرة منها ما تحرى أصحابه الروايات المنقولة من صحيح وحسن وضعيف ومنها ما جيء فيه بما لا يصح من منكر القول وموضوعه ومزج الروايات الواهية بالصحيحة مزجا لا يتميز فيه الصحيح من الفاسد والذين يقرءون هذه القصص منهم العلماء الذين يشرحون القصة للناس ببيان يقرب من عقولهم وتتناوله أفهامهم من غير ان تجول خيول خيالاتهم في معاني من تنزه عن صور الخيال ، وتسري قنافذ أوهامهم الى حضرة من تعالى عن خطرات الاوهام ، ومنهم الجهال الذين يشوهون